تفسير إبن كثير

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

ثم قال : (وترى كل أمة جاثية) أي : على ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال : إن هذا [يكون] إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ، حتى إبراهيم الخليل ، ويقول : نفسي ، نفسي ، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي ، وحتى أن عيسى ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك [اليوم] مريم التي ولدتني .قال مجاهد ، وكعب الأحبار ، والحسن البصري : (كل أمة جاثية) أي : على الركب . وقال عكرمة : (جاثية) متميزة على ناحيتها ، وليس على الركب . والأول أولى .قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد االله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عبد االله بن باباه ، أن رسول االله [- صلى االله عليه وسلم -] قال : " كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم " .وقال إسماعيل بن رافع المديني ، عن محمد بن كعب ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ، مرفوعا في حديث الصورة : فيتميز الناس وتجثو الأمم ، وهي التي يقول االله : (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) .وهذا فيه جمع بين

القولين : ولا منافاة ، والله أعلم .وقوله : (كل أمة تدعى إلى كتابها) يعني : كتاب أعمالها ، كقوله : (ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) [الزمر : 69] ; ولهذا قال : (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي : تجازون بأعمالكم خيرها وشرها ، كقوله تعالى : (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) [القيامة : 13 - 15] .